السبب في تدهور الأمة الإسلامية

قيل في عصرنا هذا إن من يتكلمون عن السنة، ويطالبون بالعمل بها، هم السبب في تأخر الدول الإسلامية، وذلتها ووهنها أمام دول الغرب الأوربي والأمريكي.

لقد أصبحت الدول الإسلامية لا كرامة لها ولا اعتبار ولا احترام أمام هذه الدول المتحررة التي يتمتع الفرد فيها بالحرية التامة ونطالب نحن المسلمون بالعمل بالسنة في عصر التكنولوجيا الحديثة وعصر الذرة والكمبيوتر!.

نظرة هادفة بصدق وعدل:

وللرد على هذه القضية لابد وأن نبين أموراً وضحناها قبل ذلك وهي:

إن الأمة الإسلامية تعمل بالسنة منذ البعثة النبوية، ورسول الله ﷺ يُعلّم ويعمل، والأمة تتمثل وتقتدي، وقد مرت الأمة منذ البعثة إلى عصرنا هذا بمراحل وأحوال مختلفة من الرقي والانحدار.

إن السنة والقرآن من مشكاة واحدة، مصدرهما الوحي، يأمر القرآن بالأمر فتبينه السنة وينهي عن الشيء فتبينه السنة، فمن أين يأتي التأخر؟

السنة منهج واضح نعمل به في كل أمور حياتنا، ونجد فيه كل سمو وخير فهل هناك أرقي وأسمي اجتماعياً من قوله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. مسند أحمد رقم الحديث (٤٢٥٤)، كتاب الزهد، باب: ذكر الموت والاستعداد له.

لقد أمرنا الله تعالى في القرآن والسنة بالعلم والعمل، فهل هناك أرقي منهجاً من قوله ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»[١].

كيف تكون السنة سبباً في تدهور الأمة الإسلامية ورسول الله ﷺ يحثنا على العلم، سواء علوم الدنيا أو علوم الآخرة فالدنيا مزرعة الآخرة، والعلم وسيلة لرقي الحياة ما لم يكن في معصية.

قال رسول الله ﷺ: «**من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضي بما يصنع، إن العالم ليستغفر له مَن في السماوات ومن في الأرض والحيتان**[٢] **في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُورثوا ديناراً ولا درهما ولكن ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[٣].

وغير ذلك كثير من الأمور والنواهي التي تنم عن الأخلاق الحميدة والرقي والحضارة في كل جوانب الحياة.

متى تدهورت الأمة؟

إنني أتساءل! متى تدهورت الأمة؟ إنها منذ بداية الإسلام وهي أرقي الأمم ليس هناك أمة تماثلها في خلقها، ولا في رقيها، فإذا كان المقياس اجتماعياً، فهي

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٣٨٦) ص ٧ وص ٣٤٩.

(٢) الحيتان: مفرد حوت، وهو سمكة صغيرة كانت أم كبيرة، الموسوعة المختصرة للأحاديث النبوية، د/ موسى شاهين لاشين، جزء (١/ ٤٧).

(٣) رواه أبو داود رقم (٣٦٤١)، الترمذي رقم (٢٨٩٨)، وابن ماجة وانظر أيضاً: الموسوعة المختصرة للأحاديث النبوية ـ كتاب العلم ـ د/ موسى شاهين لاشين، وباحثي مركز السيرة والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية؛ جزء (١/ ٤٧).

خير الأمم، يرحم القوي فيها الضعيف ويساعد الغني فيها الفقير، ويعرف الجار حق جاره، ويعرف الابن حق والديه وحق أرحامه كما قال رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**[١].

وإذا كان المقياس بالقوة العسكرية، فهي بحمد الله أقوى الأمم حينما تتاح الفرصة لجند الإسلام ليقاتل فإنه يكون الأشجع والأقوى، ويكون هو الأسمى والأرقي، لا يغتصب ولا يدمر، وسل التاريخ عنا، وكيف أن الصليبيين حينما انتصروا وأخذوا بيت المقدس قتلوا من المسلمين سبعين ألفاً ولما انتصر المسلمون عليهم بقيادة صلاح الدين الأيوبى لم يقتل منهم فرداً واحد.

وهذه المعارك في شرق الدنيا وغربها، نجد الجندي المسلم خير الأجناد، فإذا قاتل استبسل، وإذا انتصر رحم، سل الخبراء عن معارك البوسنة والهرسك وغيرهما، الجندي المسلم لم يعث في الأرض فساداً، وسل الخبراء في تاريخ المعارك سابقها ولاحقها، فإن المنصفين منهم يعترفون برقي هذه الأمة[٢].

فإليك وصية أبي بكر لجيش أسامة بن زيد في أول خلافته، قال للجيش قبل رحيله، قفوا أوصيكم بعشر:

«لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له..»[٣].

---

(١) متفق عليه.

(٢) دفع الشبهات عن السنة النبوية، أ.د / عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي ص ٦٠-٦٢.

(٣) نظرات في تاريخ الخلفاء الراشدين، أ.د / حلمى عبد المنعم صابر، الجامعة الأمريكية المفتوحة ص ٦١.

هذه الوصايا تبين آداب الحرب في الإسلام، والتي تقوم على المثل العليا مع الإنسان والنبات والحيوان.

تقاس قوة الأمة الإسلامية بأخلاقها وآدابها، فنحن بحمد الله أكرم الأمم أخلاقاً إذا تمسكنا بإسلامنا فلسنا من شعوب المسكرات، ولا من شعوب الظلم والاغتصاب، إننا أمة في قمة الرقي الخلقي فكيف يدّعون علينا أننا أمة تدهورت بإسلامها؟[١].

وإذا قيل إن أمم الكفر وأوروبا وأمريكا هي التي تقدمت صناعياً وعلمياً وتمتعت بما لم يتمتع به المؤمنون، قلنا: إن المؤمنين صُرفوا عن العلم والعمل وأُقعدوا عن الإنتاج والاختراع فأفسد الأعداء عقولهم وأفكارهم وعقائدهم، فعوقوهم عن العمل مكراً بهم وخداعاً لهم، والدليل أن المؤمنين لما كانوا كاملين في إيمانهم كانوا أرقى الأمم وأكملها حضارة وطهارة وقوة وإنتاجاً[٢].

ودليل ذلك: أن دولة الخلافة في عهد هارون الرشيد، كانت لها قوة متميزة ضاربة ظهرت على أكبر قوة في الأرض أزعجت أكبر ملوك أوروبا، وأذلت أقوى ملوك أوروبا الشرقية «نقفور» بل إن الإمبراطور أرسل سفراء إلى بغداد يلتمسون صداقة «الرشيد»[٣]. وأكثر من ذلك أن «شارلمان» إمبراطور أوروبا الغربية، أخذ في إصلاح دولته باقتباسه القوانين وبعض المظاهر الحضارية من دولة المسلمين، كما أرسل البعوث العلمية للدراسة في الجامعات الإسلامية التي كانت في ذلك الوقت مصابيح نور، وينابيع علم، ليخرج بلاده من دياجير الجهل والظلام إلى نور العلم والمعرفة من أجل حياة كريمة[٤].

---

(١) نظرات في تاريخ الخلفاء الراشدين، أ.د / حلمي عبد المنعم صابر، الجامعة الأمريكية المفتوحة ص ٦٢.

(٢) أيسر التفاسير، أبو بكر جابر الجزائري، (١٦٨/٢) بتصرف.

(٣) نظرات حول العصر العباسي الأول، د/ سمير عبد الفتاح رزق ص ١٠٣-١٠٤.

(٤) المصدر السابق ص ١٠٣-١٠٤.

لقد أمرنا الله تعالى بالعلم والعمل والإخلاص في كثير من الآيات في القرآن الكريم وكذلك في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة، أما إذا حل الجهل محل العلم فلا إنتاج ولا اختراع ولا حضارة ولا دين[1].

وإذا حلت السلبية مكان الإيجابية حل الفقر والجهل والضياع، إن سلبية الشعوب الإسلامية هي سبب ضياعها، سبحان الله، هل يطبق الإسلام صحيحاً في عصرنا هذا ومن ثم فلا إيجابية ولا مثابرة ولا عمل بل دعة وراحة، وضياعاً للساعات والأيام والأحقاب والأجيال بينما انتهزت الشعوب الأوربية كل دقيقة وكل ثانية، وسارت في كل ميدان من ميادين الحياة وقطعت في أعوام مسافة قرون، والمسلمون راقدون في سبات عميق، بعيدون عن الدين، بعيدون عن العمل، بعيدون عن كل أسباب الرقي والحضارة. مع أن أمم الكفر التي فتحت عليها أبواب كل شيء فإنها على الرغم من هذا الإنتاج الوفير، والرزق الغزير، فهي تعاني من العذاب النفسي والشقاء الروحي، والشذوذ الجنسي، والانحلال الخلقي ما يكاد يغطى على الإنتاج والرخاء والمتاع بالنكد والقلق وحالات الانتحار، لدرجة أن الرئيس الأمريكي جورج بوش كتب ينادي شعبه ويطالبه بالعفة.

وليس هذا كله إلا بداية الطريق، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «**إذا رأيت الله يعطى العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج**»[2] ثم تلا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (الأنعام: ٤٤)[3].

---

(١) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري (١٦٨/٢) بتصرف.

(٢) مسند أحمد حديث رقم (١٦٦٧٣٠)، كتاب: مسند الشاميين، باب: حديث عقبة بن عامر الجهني عن النبي.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، (١٠٩١/٢).

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ (آل عمران: ١٧٨). والآيات بهذا المعنى كثيرة.

إننا أمة تدهورت بالبعد عن الإسلام وعدم أتباع منهج الله قرآنا وسنة، أين المسلمون الآن من الإسلام؟ كم نسبة من يتمسكون بدينهم؟ من يعملون بضمير المسلم الذي يعلم أن الله تعالى يراه وأنه سبحانه «هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» ويعلم أنه محاسب على إتقان عمله والإخلاص فيه.

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (آل عمران: ١٧٨).

إن من أعرض عن منهج الله فإن له معيشة ضنكاً في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقي.

تأثير الإيمان الصحيح في الأخلاق والميول:

لقد أصبحت الديانة سطحية طافية في حياة غالبية الأمة المسلمة، أصبحت ولا سلطان لها على أرواحهم ونفوسهم ولا قلوبهم، ولا تأثير لها في أخلاقهم واجتماعياتهم، فأصبح إيمانهم بالله لا يزيد على معرفة تاريخية كصانع أتم عمله، أما عبادتهم فهى عارية من الخشوع لله ودعائه إلا في الشدائد والمحن لأن معرفتهم

بالله معرفة قاصرة مجملة، لا تبعث في نفوسهم هيبة ولا محبة، فأصبحت الديانة طقوساً وتقاليد وأشباحاً للإيمان[١].

كيف نطلب من الله تعالى أن ينصرنا ونحن لا نستحق هذا النصر؟ وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (آل عمران: ٣٢).

وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد: ١١).

لنتساءل كيف نغير ما بأنفسنا؟

إنه لابد لهذا التغيير بداية من إيمان صادق بالله عز وجل مصحوباً بمعرفة عميقة واضحة ذات سلطان على الروح والنفس والقلب والجوارح، ذات تأثير في الأخلاق والاجتماع، ذات سيطرة على الحياة وما يتصل بها.

إيمان برب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، الخالق البارئ المصور، العزيز الحكيم، الغفور الودود، الرءوف الرحيم، له الخلق والأمر، بيده ملكوت كل شيء يجير ولا يجار عليه، إلى آخر ما جاء في آيات القرآن الكريم من وصفه عز وجل، يثيب بالجنة ويعذب بالنار ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، ينصر من يشاء ويخذل من يشاء، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، إلى آخر ما جاء في القرآن الكريم من قدرته وتصرفه وعلمه مع إيمان وتفكير ومعايشة لكل اسم وصفة من صفات الله تعالى وأسمائه فتنقلب النفوس بهذا الإيمان الواسع العميق الواضح انقلاباً عجيباً، يتغلغل الإيمان في أحشائهم ويتسرب إلى جميع عروقهم ومشاعرهم، فيغيروا ما بأنفسهم وتحيي ضمائرهم، ويستردوا إسلامهم وحضارتهم ورقيهم[٢].

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين بتصرف، أبو الحسن على الندوي، ص ١٢٨، مكتبة السنة.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين بتصرف، أبو الحسن على الندوي، ١٢٩-١٣٠.

خواطر مع وعد الله بالنصر والاستخلاف

خواطر مع وعد الله بالنصر والاستخلاف في الأرض

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (النور: ٤٧).

إن الإيمان الصحيح متى استقر في القلب ظهرت آثاره في السلوك، والإسلام عقيدة متحركة لا تطيق السلبية، فهي بمجرد تحقيقها في القلب تتحرك لتترجم نفسها إلى عمل في عالم الواقع، ومنهج الإسلام في التربية يقوم على أساس تحويل الشعور الباطن بالعقيدة وآدابها إلى سلوك وحركة واقعية، ثم تتحول هذه الحركة إلى عادة ثابتة أصلية في حياة المؤمن.

ومع هذه الآية التي تخبر عن فريق من الناس يقولون: ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ﴾ يقولونها بأفواههم ولكنها لا تتحقق في سلوكهم، فهي لا تغادر ألسنتهم، يكذبون بالأعمال ما قالوه باللسان: ﴿ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ فالمؤمنون تصدق أفعالهم أقوالهم والإيمان ليس لعبة يتلهى بها صاحبها، ثم يدعها ويمضي، إنما هو تكيف في النفس وانطباع في القلب، وعمل في الواقع، ثم لا تملك النفس الرجوع عنه متى استقرت حقيقته في الضمير[1].

ويأتي الأمر من الله: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ (النور: ٥٤).

---

(١) في ظلال القرآن، بتصرف، سيد قطب، (٤/٢٥٢٥).

ويأمرهم الله تعالى بالطاعة الحقيقية في الأقوال والأفعال: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ ولم ينفذوا ما أمروا به ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ ﴾ من تبليغ الرسالة، وقد قام به وأداه ﴿ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾ وهو أن تطيعوا وتخلصوا، وقد نكصتم عنه ولم تؤدوه ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ إلى المنهج القويم المؤدى إلى الفوز والفلاح ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ فليس مسئولاً عن إيمانهم، إنما أنتم المسئولون المعاقبون بما توليتم وبما عصيتم وخالفتم أمر الله ورسوله[1].

ثم بعد ذلك يبين سبحانه جزاء الطاعة المخلصة والإيمان العامل، في هذه الأرض قبل يوم الحساب الأخير: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (النور: ٥٥).

ذلك وعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات من أمة محمد ﷺ أن يستخلفهم في الأرض، وأن يمكن لهم دينهم، وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمنا، ذلك وعد الله، ووعد الله حق، ووعد الله واقع، ولن يخلف الله وعده إذا وفوا بالشرط[2].

فما حقيقة ذلك الإيمان؟ وما حقيقة هذا الاستخلاف؟

إن حقيقة الإيمان التي يتحقق به وعد الله، حقيقة ضخمة تستغرق النشاط الإنساني كله وهي طاعة لله واستسلام لأمره في الصغيرة والكبيرة، لا يبقى معها هوى للنفس، ولا شهوة في القلب إلا تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله

(١) في ظلال القرآن، بتصرف سيد قطب، (٤/٢٥٢٨، ٢٥٢٩).
(٢) المصدر السابق بتصرف، (٤/٢٥٢٨، ٢٥٢٩).

تعالى، فهو الإيمان الذي يستغرق خواطر الإنسان وخلجات قلبه، وأشواق روحه، وميول فطرته، وحركات جسمه ولفتات جوارحه، وسلوكه مع ربه في أهله ومع الناس جميعاً، يتوجه بهذا كله إلى الله تعالى، هذا هو الإخلاص.

ذلك الإيمان منهج حياة كامل يتضمن كل ما أمر الله به، وكل ما جاء به رسوله ﷺ وأمر به، ويدخل في الأوامر توفير الأسباب وإعداد العدة والأخذ بالوسائل، والتهيؤ لحمل الأمانة الكبرى في الأرض، أمانة الإستخلاف[١].

إن الاستخلاف في الأرض قدرة على العمارة والإصلاح، لا على الهدم والإفساد، وقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة، لا على الظلم والقهر، وقدرة على الإرتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري، لا على الإنحدار إلى مدارج الحيوان[٢]. هذا الإستخلاف في الأرض هو الذي وعده الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات، وعدهم الله أن يستخلفهم في الأرض كما استخلف المؤمنين الصالحين قبلهم، ليحققوا المنهج الذي أراده الله، ويقرروا العدل الذي أراده الله، ويسيروا بالبشرية خطوات في طريق الكمال المقدر لها يوم أنشأها الله فأما الذين يملكون فيفسدون في الأرض، فهؤلاء ليسوا مستخلفين في الأرض، إنما هم مبتلون بما هم فيه، أو مبتلى بهم غيرهم ممن يسلطون عليهم لحكمة يقدرها الله تعالى[٣].

آية هذا الفهم لحقيقة الاستخلاف قوله تعالى بعده: ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ وتمكين الدين يتم بتمكينه في القلوب وسلطانه على الضمير كما يتم بتمكينه في تصريف الحياة، فقد وعدهم الله أن يستخلفهم في الأرض،

---

(١) في ظلال القرآن، بتصرف سيد قطب، (٤/، ٢٥٢٨، ٢٥٢٩، ٢٥٣٠).

(٢) المصدر السابق بتصرف، (٤/، ٢٥٢٨، ٢٥٢٩، ٢٥٣٠).

(٣) المصدر السابق بتصرف، (٤/، ٢٥٢٨، ٢٥٢٩، ٢٥٣٠).

وأن يجعل دينهم الذي ارتضى لهم هو الذي يهيمن على الأرض، ودينهم هذا يأمر بالعدل، ويأمر بعمارة الأرض، والانتفاع بكل ما أودعها الله من ثروة، ومن رصيد، ومن طاقة، ولا يأمر أبداً، بالإرهاب والإفساد، مع التوجه بكل نشاط فيها إلى الله.

هذا شرط الله، وهذا وعد الله وعهد الله، ولقد تحقق وعد الله مرة، ويظل متحققاً وواقعاً إذا قام المسلمون على شرط الله، الإيمان والعمل الصالح، ووعد لكل من يقوم على الشرط ـ من هذه الأمة ـ إلى يوم القيامة[1].

فإذا تحقق الشرط وهو الطاعة الكاملة لله ولرسوله في جميع المجالات والأحوال، قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (النور: ٥٦). هذه هي العدة، الاتصال بالله، وتقويم القلب بإقامة الصلاة والاستعلاء على الشح وتطهير النفس بإيتاء الزكاة، وطاعة الرسول والرضا بحكمه وتحقيق منهجه الذي أرسله الله، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ في الأرض من الفساد والانحدار والتخلف والخوف والقلق، وفي الآخرة من غضب الله والعذاب والنكال، ثم التعقيب بالوعد والجزاء والطمأنينة فإذا استقمتم على المنهج، فلا عليكم من قوة الكافرين فما هم بمعجزين في الأرض، وقوتهم الظاهرة لن تقف لكم في الطريق.

عدتهم من الناحية المادية، ولكن القلوب المؤمنة تصنع الخوارق والأعاجيب، والله سبحانه هو القاهر القادر قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ (الأنعام: ١٨).

---

(١) في ظلال القرآن، بتصرف سيد قطب، (٤/٢٥٢٨، ٢٥٢٩).

وقال تعالى أيضاً: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾ (النور: ٥٤-٥٧).

وعد الله بالنصر وشروطه:

ومصداقاً لما ذكرنا ما جاء في سورة الحج قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الحج: ٣٨).

وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الحج: ٤٠).

وقال في سورة محمد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ﴾ (محمد: ٧، ٨).

﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ هذا هو الشرط، والجزاء ﴿ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ كيف ينصر المؤمنون الله تعالى، لينالوا ما شرط لهم من النصر والتثبيت؟ إن لله

شريعة منهاجاً للحياة، تقوم على قواعد وقيم وأوامر ونواه، ونصر الله تعالى يتحقق بنصرة شريعته ومنهاجه، فهو الطاعة الكاملة لله ولرسوله في جميع الأحوال والمجالات في الحياة كلها بدون استثناء، هذا هو نصر الله في واقع الحياة.

إن ما يحدث الآن في واقع المسلمين المعاصر ليس على شرط الله عليهم، فأما شرطه لهم فهو النصر والتثبيت، ووعد الله لا يخلفه ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة: ١١١) فإذا تخلف فترة فهو أجل مقدر لحين يصح أن المؤمنين وفوا بالشرط وأطاعوا الله ورسوله[١].

إن الأمة ترتقي وتسموا بمقدار تمسكها بالقرآن الكريم، الذي يأمرها بالعمل بالسنة فتتمسك بها فتسود وتعز.

العجيب أن عزة الأمة إنما تكون بمقدار تمسكها بالكتاب والسنة وما علّمه لنا ديننا، وعلّمه أعداؤنا قديماً وعملوا هم بأخلاقنا في بعض الأمور البناءة فأنتجوا وارتقوا، وراحوا يدبرون لإبعادنا عن هذا الخط المستقيم، مع أنهم صرحوا بذلك، فحاربونا بالغزو الفكري وشوشوا أفكار الكثير من المسلمين مع أننا سوف نعيش أعزة إذا تمسكنا بهدى نبينا ﷺ، فإذا تركناه ضاع مصدر عزنا ومع ذلك فإن البعض منا لم يفهم ذلك، وراح يساعدهم في البعد عن سنتنا وفي ترديد ادعاءاتهم بأن الإسلام والسنة سبب تدهورنا وتأخرنا ونسوا أوامر السنة بالعمل والإنتاج والصدق والإخلاص، فتركوا أصلاً قوياً من أصول ديننا ألا وهو السنة النبوية[٢].

وقد نشأت هذه الأمة أمة الإسلام بهذا الدين وكانت تنشئتها بهذا المنهج القويم وقادت نفسها، وقادت البشرية بعد ذلك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ

---

(١) في ظلال القرآن بتصرف سيد قطب، (٣٢٨/٦).

(٢) دفع الشبهات عن السنة النبوية، أ.د/ عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي ص ٦٣.

ومنهجه الذي طبع حياتها لا بشيء آخر وأمامنا التاريخ، ومن أراد المجادلة فليقل لنا أين كانت هذه الأمة قبل هذا الدين الذي بسببه ذُكِرَت في الأرض وذاع صيتها، وكان لها دورها التاريخي، وكان لها وجود إنساني وحضارة عالمية استمد منها الغرب حضارته وسلبها من المسلمين وأبعدهم عنها.

ومن ثم جعل الله لهذه الأمة وجوداً وذكراً وحضارة، ويريدون بعد ذلك أن يخلعوا هذا الرداء الذي ألبسهم الله إياه، وأن يمزقوا هذه الراية التي قادتهم إلى الذكر والمجد[1] عافانا الله وإياكم من وسوسة الشيطان ومكر الغرب والكفار.

---

(١) في ظلال القرآن بتصرف، سيد قطب، (٦٧٦/٢).

حكم منكري السنة

وأختم أبواب هذا الكتاب الصغير بباب عن منكري حجية السنة بعد أن حاولت أن أرد على كل ما يقال وما يجول في عقول ضعاف الإيمان، ومن يجهلون بحقيقة الدين وأصوله، ليعلموا خطورة هذا الموضوع.

يقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (الأنعام: ١١٢، ١١٣).

إن شياطين الإنس والجن يعاندون أهل الحق في كل زمان، يساعد بعضهم بعضاً بالقول المزور، وباللفظ المزخرف الذي فتن به من لا يعرف حقيقة الأمر، إن الله سبحانه وتعالى لو شاء لمنعهم من ذلك، ولكنه سبحانه يتركهم اختباراً وابتلاء لترتفع درجة الصادقين بثباتهم على الحق، فدعهم وما يكذبون، دعهم وافتراءاتهم وهذا الباطل ستميل إليه قلوب ضعاف الإيمان، وسيقبلون عليه ويحبونه ويريدونه فليعملوا ما هم عاملون[1].

وهكذا تبين الآيتان الكريمتان أن هناك في الكون شياطين من الإنس والجن يزخرفون القول ويتظاهرون بالعلم، ويدعون أنهم على حق، ويحاولون الأخذ بيد الناس، إلى ما هم عليه من الضلال، إلا أن باطلهم هذا لا يقبله إلا أمثالهم، أصحاب القلوب المريضة[2].

---

(١) تفسير ابن كثير بتصرف (٢/١٥٩-١٦٠).

(٢) المصدر السابق بتصرف (٢/١٦١-١٦٦).

وفي الآيتين السابقتين تحذير لكل مسلم من دعوة الضلال، ومن فكر الشياطين[١].

نستخلص مما قدمت في كتيبي هذا النقاط التالية:

١- إن السنة وحي من الله تعالى، أمر رسوله ﷺ بتبليغها للناس، كما أمره بتبليغ القرآن وألزم بها عباده كما ألزمهم بالقرآن.

٢- أن السنة شقيقة القرآن في الحجية والاعتبار، وأنهما مصدران للدين الإسلامي.

٣- أن القرآن والسنة متلازمان لا يغني أحدهما عن الآخر، وهما معاً مصدر الدين الإسلامي، ومرجع المسلمين.

٤- دل القرآن الكريم والسنة والإجماع على وجوب اعتقاد مضمون السنة والعمل بمقتضاها، وأنها حجة شرعية، لا يسع أحداً تركها.

٥- أن من ترك السنة وادعى الاقتصار على القرآن، قد كذّب القرآن نفسه لأن القرآن دل على وجوب أتباع السنة.

٦- أن من ترك السنة وادعى الاقتصار على القرآن يلزمه أن يترك القرآن أيضاً لأنه إنما جاء عن طريق الرسول ﷺ.

٧- يستحيل عبادة الله كما أمر وشرع بغير العودة إلى السنة، وما فيها من بيان وشرع.

٨- إن من ترك السنة وادعى الاقتصار على القرآن كاذب في شهادته لمحمد ﷺ بالرسالة[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/١٥٩-١٦٦).

(٢) حجية السنة، أ.د/ الحسين شواط ص ٢٨٢.

الحكم على منكري حجية السنة:

يتبين مما سبق أن من أنكر أصل الاحتجاج بالسنة، ومن رد حديثاً صحيحاً بغير تأويل بعد ما بلغه وعرف صحته بتقرير أهل الاختصاص لهذه الصحة، حكم أهل العلم على هذا المنكر أنه كفر وخرج من الملة، لا تنفعه صلاة ولا صوم ولا زكاة ولا غير ذلك من القربات، بل كيف يصوم ويصلي ويزكي وإنما ثبت تفاصيل أحكام الصلاة والصوم والزكاة والحج في السنة المطهرة[١].

قال الحافظ ابن حزم: فلم يسع مسلماً يقر بالتوحيد أن يرجع عند التنازع أو الخلاف إلى غير القرآن والخبر عن رسول الله ﷺ ولا يأبى عما وجد فيهما، فإن فعل ذلك بعد قيام الحجة عليه فهو فاسق. أما من فعله مستحلاً للخروج عن أمرهما وموجباً لطاعة أحد دونهما فهو كافر لا شك في ذلك[٢].

بعض آيات القرآن الدالة على كفر منكري السنة:

قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (النساء: ٦٥).

قال ابن القيم: أقسم سبحانه وتعالى بنفسه على نفي الإيمان عن العباد حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل، وفي أي خلاف ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم وحده ولكن حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه، ولم يكتف منهم أيضاً بذلك حتى يسلموا تسليماً وينقادوا انقياداً[٣].

---

(١) حجية السنة أ.د / الحسين شواط ص ٢٨٢، ٢٨٣.

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٣.

(٣) أعلام الموقعين (١/ ٤٢).

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ (النساء: ٦١).

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (النساء: ١٤٥).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٣٢). فمن تولى عن طاعة سنة رسول الله ﷺ فهو كافر بصريح نص الآية.

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب: ٣٦). فمعصية سنة رسول الله ﷺ هي عين الضلال البيِّن الواضح.

ويقول سبحانه: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (الحشر: ٧). دلت الآية على أن من لم يأتمر بأمر السنة ولم ينته عما نهيت عنه السنة فإنه يعذب أشد العذاب[1].

ويقول: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ١١٥).

إن سبيل المؤمنين واضح منهجاً كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ومن بعدهم استقام التابعون والأمة خلفاً بعد سلف، فمن حاد عن هذا الطريق كبه الله في النار وأصلاه جهنم وبئس القرار[2].

---

(١) حجية السنة، أ.د/ الحسين شواط ص ٢٨٤-٢٨٥.

(٢) دفع الشبهات عن السنة النبوية، أ.د/ عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي ص ٢٠.

أعتقد أن هذه الأدلة كافية وواضحة لمن آمن بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً لأن يتمسك بالسنة، ويعض عليها بالنواجذ رغبة في طاعة الله وما أعده لعباده الصالحين من جزيل الثواب، ورهبة من معصية الله ومخالفة أمر رسول الله ﷺ المؤدية إلى دخول النار، ويقينا بأن القرآن والسنة هما معا مصدر الدين وأساسه المتين.

إن هذه الأدلة كافية في إقامة الحجة على المسلمين فمن ترك السنة، كيف يلقي ربه، وكيف يواجه مصيره المحتوم ناراً وقودها الناس والحجارة أعدت للمجرمين[1].

(١) حجية السنة بتصرف، أ.د/ الحسين شواط، ص ٢٨٦.

الخاتمة

أسال الله تبارك وتعالى أن يكون قد وفقني سبحانه في ترجمة أفكاري، وما يجول بخاطري من غيرة على دين الله وإشفاق وخوف، وقد تفشى مرض عمى البصيرة بين المسلمين، فأصبحوا لا يعلمون عن دينهم إلا القشور الطافية، فلا يعلمون كيف تكون العقيدة الصحيحة، ولا كيف تكون عبادة الله وطاعته، ولا أهمية طاعة رسول الله ﷺ واتباعه فيما أنزل الله عليه من الكتاب والحكمة.

ولا كيف يكون الإسلام الصحيح؟ وكيف تكون الكلمة الطيبة شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله تامة تؤتي أكلها وثمارها؟

وأرجوا أن يكون قد وفقني الله تعالى إلى بيان أهمية السنة وأنها دين وشريعة وأنها شقيقة القرآن، وأنها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، بالحجج والأدلة من القرآن والسنة الصحيحة.

وكيف كانت جهود الصحابة والتابعين والفقهاء وعلماء الحديث ومناهجهم في تلقي الحديث وروايته؟ ثم نقدهم للرواة والرواية، وما ألفوه من العلوم لحماية السنة، حتى قال أحد المستشرقين ـ ماجليوث ـ ليفخر المسلمون ما شاءوا بعلم حديثهم.

كما تلقى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم السنة عن الرسول مباشرة وحفظت في الصدور والسطور وقد حرصوا على ملازمة الرسول ﷺ والتلقي منه والتأسي به ومتابعته إيماناً به وحباً له ووفقهم الله تعالى لحفظ السنة وكتابتها ليتم نوره ولو كره الكافرون.

وكيف بعد كل هذه الجهود والحرص على السنة والدقة في التعامل معها وبها يلتبس صحيحها بالموضوع عليها كما يدعى ذلك أعداء الإسلام؟

وكيف يقال إن القرآن يغني عن السنة؟ وهو الآمر باتباع السنة، وأنها وحي من الله تعالى كما أن القرآن وحي فالسنة أيضاً وحي، أما القرآن فهو وحي من الله تعالى لفظاً ومعنى.

وأما السنة فهي وحي من الله بالمعنى دون اللفظ، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم: ٣، ٤).

وقال تعالى: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩ ﴾ (الأحقاف: ٩).

وقد جاءت العبادات مجملة في القرآن وبينتها السنة، وجاءت الأحكام عامة وخصصتها السنة، قال تعالى: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤ ﴾ (النحل: ٤٤).

وما أكثر آيات القرآن الآمرة بالعمل بالسنة وأتباعها وطاعة الرسول ﷺ في ما يأمر به والانتهاء عن كل ما ينهي عنه.

وأرجو من الله تعالى أن يكون قد وفقني في بيان أقسام السنة، وأن منها الواجب ـ الذي لا يتم الإسلام إلا بالعمل به ـ ومنها ما نثاب على العمل به ونعاقب على تركه، وأن منها المندوب والمستحب، فنؤجر على العمل به ولا نعاقب على تركه، وإن كنا في أمس الحاجة إلى كل حسنة، وإن كانت حسنة واحدة قد تنجينا من النار، وقد لا تكون واجباتنا صحيحة تامة مائة بالمائة فتجبرنا الجوابر وهي السنن وهكذا.

وكيف يقال إن السنة سبب تأخر الأمة وقد كانت الأمة في أوج حضارتها وعزها وعالميتها أيام كانت تعمل بالقرآن والسنة؟

كانت دولة الإسلام من المشرق إلى المغرب، أكبر دولة عالمية ليس لها مثيل إلى الآن في علمها وعدلها ونظامها، وأخلاقياتها ومعاملاتها مع بعضها البعض ومع عدوها.

وقد كان آخر باب في هذا الكتيب حكم منكري السنة، أردت أن أعرف المسلمين مدى خطورة تهاوننا بالسنة، وعدم التزامنا بها، وكيف نقف بين يدي الله تعالى يوم القيامة، وإلى أين مصيرنا؟ وقد قامت علينا الحجة بأن أعلمنا سبحانه وتعالى هذه الأحكام في القرآن الكريم، فكل هذه الآيات حجة علينا نسأل عنها يوم القيامة، نجانا الله وإياكم في ذلك اليوم المشهود.

وأخيراً إن الإسلام ومنهجه قرآنا وسنة أنشأه الله تعالى موافقاً للفطرة الإنسانية منطبقا عليها، ومحققا للحاجات الإنسانية الحقيقية في شمولها، وعلى أرقى وجه، وأنه لا يوجد بهذا المنهج أية قصور أو تقصير أو تأخير وأن هذه الحاجات إنما يقررها الذي خلق، والذي يعلم من خلق، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (الملك: ١٤). إنما التقصير والقصور في عدم التزامنا في العمل بالدين الصحيح من غياب الضمير وعدم الشعور بمراقبة الله عز وجل في أوامره ونواهيه في القرآن والسنة ومن قبل عن رسول الله ﷺ فعن الله قبل، لأن الله افترض علينا طاعة رسوله، ومن أطاع الرسول ﷺ فقد أطاع الله.

إن مصلحة البشر لا تكون إلا في شرع الله عز وجل، كما أنزله الله.

وكما بلغه عنه رسول الله ﷺ، فإذا بدا للبشر ذات يوم أن مصلحتهم في مخالفة ما شرع الله تعالى لهم، فهم واهمون فيما بدا لهم قال تعالى: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ (النجم: ٢٣).

أم للإنسان ما تمنى فلله الآخرة والأولى، ونرجع إلى السؤال الذي يطرحه الإسلام ويجيب عليه: ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة: ١٤٠) ويجيب ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ (البقرة: ٢١٦).

ولا يحل لمسلم علم ما في الكتاب وما في السنة أن يقوم بخلاف واحد منهما.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب اللهم ضع له القبول بين الصادقين وتقبل ولو حرفا منه، وتجاوز عن زلاتي وجرأتي، ولا تجعل حظي من ديني لفظي وارزقني الصدق في نيتي وقولي وعملي، واشغلني بك عن غيرك، واجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم المزيد، وارزقنا لذة العيش بعد الموت، وحسن النظر إلى وجهك الكريم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ،

مقدمته

الفقيرة إلى الله وإلى توفيقه ورحمته وغفرانه

وفاء يحيى بدوى

فهرس المراجع

١- كتاب الإيمان: أركانه. حقيقته، نواقصه ـ د/ محمد نعيم ياسين.

٢- أصول الإيمان (٣) ـ أ.د/ عبد المنعم أمين ـ طبعة الجامعة الأمريكية.

٣- تاريخ التشريع ـ مناع القطان ـ مؤسسة الرسالة.

٤- أعلام الموقعين ابن قيم الجوزية- دار الحديث.

٥- الواضح في أصول الفقه ـ د/ محمد سليمان عبد الله الأشقر- دار السلام

٦- الوجيز في أصول الفقه ـ د/ عبد الكريم زيدان ـ مؤسسة الرسالة.

٧- الجامع لمسائل أصول الفقه ـ أ.د / عبد الكريم النملة ـ مكتبة الرشد الرياض.

٨- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د.يوسف حامد العالم، دار الحديث القاهرة، الدار السودانية.

٩- تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ـ دار الحديث ـ القاهرة.

١٠- في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ دار الشروق بيروت.

١١- تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل ـ محمد جمال الدين القاسمى ـ دار الفكر، بيروت.

١٢- أيسر التفاسير ـ أبو بكر جابر الجزائري ـ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة.

١٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ ابن حجر العسقلانى ـ دار الفكر

١٤- صحيح مسلم بشرح النووى ـ دار إحياء التراث العربي.

١٥- صحيح البخاري.

١٦- الجامع لأخلاق الرواى وآداب السامع ـ الخطيب البغدادي.

١٧- الموسوعة المختصرة للأحاديث النبوية ـ د/ موسى شاهين لاشين، وباحثي مركز السيرة النبوية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

١٨- حجية السنة ـ أ.د / الحسين شواط ـ طبعة الجامعة الأمريكية.

١٩- دفاع عن السنة ـ أ.د/ محمد محمد أبو شهبة ـ مكتبة السنة.

٢٠- دفع الشبهات عن السنة النبوية ـ أ.د / عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي ـ مكتبة الإيمان.

٢١ - مناهج المحدثين ـ د/ أحمد عمر هاشم.

٢٢- المنهج الأمثل في فقه الداعية، أ.د/ عبد الله حسن على بركات ـ جامعة الأزهر ـ بحث في مجلة علمية أكاديمية محكمة تصدر سنويا.

٢٣- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ أبو الحسن على الحسنى الندوى ـ مكتبة السنة.

٢٤-نظرات في تاريخ الخلفاء الراشدين ـ أ.د/ حلمي عبد المنعم صابر ـ طبعة الجامعة الأمريكية.

٢٥- نظرات حول العصر العباسي الأول ـ أ.د/ سمير عبد الفتاح رزق.